تحليـــل الخطاب الروائـــــي فـــــي النقد الجزائـــري المعاصر
- بين خصوصية النص والنظرية الغربية -

د.وسواس نجاة/ د.بلمبروك فتيحة
جامعة سيدي بلعباس

-تأسيس أول :

لم يحتل السرد العربي موقع "النص المركز" في النقد العربي إلا قبل بضع عقود، وتحديدا حينما علت بعض الأصوات النقدية الداعية إلى ضرورة صبر أغواره ومحاولة إعادة بعث الهوية العربية التي حرص الاحتلال على طمسها، فظهرت بعض الأسماء الناقدة التي سعت إلى تحليل الظاهرة السردية العربية القديمة منها بداية، ومحالة استكشاف معالمها وملامحها وسماتها .

يمكن القول من ناحية أخرى إن الرواية العربية وخلال العقدين الأخيرين من الزمن احتلت موقع المركز من النقد العربي الذي خطا خطوات سريعة وبناءة في حقل الحداثة والتحليل السردي تحديدا، ولعل الأمر راجع أساسا إلى تلك القفزة النوعية التي أحدثتها الرواية سواء على مستوى النوع أم البنية أم المرجعية ، ولم يعد النقد يتحدث عن مجرد تداخل للأنواع في الرواية بل عن ضرورة انفتاح النص الروائي ليقدم رؤيا للكون ويتحول إلى نص متعدد الأبعاد، الأمر الذي أحدث علامة فارقة بين الرواية الحديثة والرواية الجديدة التي كسرت بعض الطابوهات الأدبية والاجتماعية معا.

هذا من ناحية، من ناحية أخرى يبدو أن استفادة النقد العربي الحديث من مختلف التوجهات النقدية الغربية أحدثت هي الأخرى قفزة على المستوى النقدي، نقلت النقد السردي العربي من سياقيته وأحكامه الانطباعية إلى نقد منهجي مؤسس واضح المعالم والمرجعيات والإجراءات، على الرغم من استناده الذي يكاد يكون كاملا إلى المرجعيات الغربية .

ومع تطور الظاهرة السردية وبروز النوع الروائي كنوع سردي استطاع أن يفرض نفسه على بقية الأنواع السردية وعلى الظاهرة الشعرية كذلك، حينما قدمت الرواية نفسها على أنها النوع الأكثر استيعابا لبقية الأنواع وحتى الأجناس الأدبية الأخرى، يمكن القول إن النص الروائي استطاع أن يحتل موقع المركز من النقد، وأصبح تركيز النقد وإصراره على ضرورة التعامل مع هذا النوع الذي استطاع أن يزيح الشعر من رأس قائمة الاهتمامات، ويتحول إلى ديوان جديد، يحتمل ما تنتجه المخيلة في أبعادها التخييلية والواقعية والأيديولوجية المختلفة.

يكتسي من ناحية أخرى الحديث عن الرواية العربية في النقد العربي الحديث نوعا من التعقيد الذي يوقع المتلقي في ضرب من الالتباس من ناحية والبحث في فاعلية النظرية الغربية ، ومكمن هذا التعقيد يتجلى فيما يسميه الناقد عبد الله إبراهيم "المطابقة والاختلاف" أي تطابق النظرية واختلاف النص في شتى أبعاده، والاستناد الذي يكاد يكون كاملا من قبل الناقد العربي في قراءته للنصوص السردية العربية إلى النظرية السردية الغربية في مختلف توجهاتها.

ومثل هذه الحال قد تقود إلى تساؤل أكبر من مسألة فاعلية النظرية الغربية مع الرواية العربية والسرد العربي عموما هو سؤال القصور ومكمنه أو أيهما يجب نعته بالقصور النص أم الناقد؟ حيث إذا كان نعت النص بالقصور ضربا من العبثية والاعتباطية والتعسف والانطباعية معا، إذ إن النص تجربة إبداعية فردية لا يمكن نعتها إلا بالجمال من عدمه، فإنه يستحيل نعته بالقصور عن إمكانية توليد نظرية خاصة به، وبخاصة إذا ما نظرنا إلى الوراء والكم الهائل المقدم في تراثنا العربي، ومن ناحية أخرى يبدو أن الناقد العربي الحديث سعى إلى أن يكون تعامله مع النصوص السردية العربية على قدر من الجدية والموضوعية والعلمية والشمولية كذلك، حيث وقف على كثير من الأنساق الثقافية والظواهر والبنيات التي شكلت السرد العربي التراثي والحديث .

تأسيس ثان: النقد السردي في الجزائري :

لقد خطا النقد الجزائري خطوات سريعة في حقل الحداثة النقدية صار بوسعنا معها الحديث عن خطاب نقدي جزائري واضح المعالم و المرجعيات و الإجراءات ، على الرغم من استناده الكامل تنظيرا وتطبيقا على نظريات غربية ، لذلك، وبالوقوف أمام المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة ، يمكن القول إن النقد الجزائري المعاصر راكم كثيرا من الأعمال التي لا يمكن معها أن نغمطه حقه من الحداثية ، و خصوصا بعدما تجاوز الأطر الاجتماعية و السياقية عموما التي عرفها في مرحلته الأولى .

وإذا كانت النظريات الغربية على تنوع توجهاتها و تعدد إجراءاتها و مفاهيمها واصطلاحيتها قد عرفت طريقها إلى هذا النقد ، فإن نظرية السرد الحديثة بشقيها البنوي والسيميائي كانت محط اهتمام الباحثين الجزائريين و مشروعا انفتح عليها وعيهم ، على الرغم مما لقيته المحاولات الجزائرية من اتهامات بالآلية والسطحية و تضارب الترجمات .

و يمكن القول إن تعامل النقد الجزائري مع مفاهيم السرديات الحديثة ومعطياتها حديث جدا ولا يزال في مراحله الأولى، إذ لم يتجاوز حدود التأسيس و التعريف بها أو وصف أهم إجراءاتها أو حتى التطبيق الذي لم يتجاوز حدود المقال في المجلة الواحدة أو ضمن مجموعة من الدراسات في المؤلف الواحد، والذي يبدو غير كفيل بتحليل خطاب بحجم رواية على وجه الخصوص ، الذي غالبا ما يستند إلى الشقين البنوي والسيميائي معا ، وهذا الوضع محتشم جدا إذا ما قارناه بما هي عليه حال السرديات على المستوى المغاربي حيث نجد أسماء عديدة تعاملت مع منجزات السرديات الحديثة تعريفا و تطبيقا و ترجمة لا يمكن معها نكران الفضل الذي قدمته للمحكي المغاربي تحديدا .

من ناحية أخرى ، لا يمكن القول إن التداخل بين التحليل السيميائي و البنوي في الخطاب النقدي السردي الجزائري المعاصر ناتج عن عدم وعي من لدن نقادنا بهذين المصطلحين وما ينضوي تحتهما من مفاهيم و إجراءات ، ذلك أن معظم الباحثين في مجال السرد يشير إلى الفرق الموجود بينهما، و لكن يمكن رد هذا التداخل إلى ذلك الاستحضار الجزئي للمنهج، إذ كثيرا ما يستحضر الناقد الجزائري إجراءات ومفاهيم السرديات ناقصة مقارنة بالسيميائيات السردية التي إذا ما لاحظنا الخطاب النقدي المؤسس لها نجده يحاول الإلمام بالنظرية السيميائية في أصولها المعرفية و حتى مرتكزاتها الفلسفية محاولا في ذلك

تيسير مفاهيمها، وهو ما خالف وضع استحضار السرديات إذ إن بعض الباحثين الجزائريين يكتفي باستعراض مفاهيمها – أو بعضها– غير مكترث لسياقاتها وخلفياتها المعرفية ، بل إنه لا يحاول توسيع مجال إدراكه و معرفته بها، إذا استثنينا بعض الرسائل الأكاديمية .

من ناحية أخرى يمكن القول إن تطبيق تلك الإجراءات على المتن العربي كثيرا ما كان تقنيا آليا، بل إنه كان مجرد إسقاطات لمقولات الزمن، الصيغة، الرؤية والصوت كما قال بها تودورف وجنيت على المتن الروائي الذي توسع التعامل معه في النقد الجزائري ، و مع هذا نجد بعض المحاولات التي سعت إلى بناء سرديات جزائرية سواء من الجانب النظري* ، إذ أقدم بعض الباحثين الجزائريين على استحضار المفاهيم السردية الغربية و شرحها، أو حتى من الجانب التطبيقي الذي أولى فيه معظمهم أهمية لتحليل المتون الروائية الجزائرية** .

-القراءة النقدية الجزائرية للرواية :

قبل الاطلاع على الدراسات الجزائرية المقدمة حول النصوص الروائية يتساءل الباحث هل يمكن للنظرية السردية في صيغتها الغربية قراءة النص الروائي الجزائري والعربي عموما المختلف تماما عن الغربي؟ وبعد أن يتراءى له ذلك الكم الهائل من الدراسات الجزائرية سيتساءل في المقابل هل استطاعت هذه الدراسات الوصول إلى كنه ومكونات النص الروائي مهما كانت النظريات والإجراءات التي اتبعتها؟

الإشكال الذي يطرح نفسه دائما في سياق مثل هذه التحليلات هو ما للنص الروائي الجزائري من خصوصية يمكن أن تميزه عن غيره، فكيف يدرس نصان مختلفان من حيث البيئة والأنساق التي ينتمي إليها كل نص وكذا الأطراف المتداولة له وأهم من هذا بنياتهما المختلفة بنظرية واحدة؟! وهل ما قيس على الرواية الغربية صالح لقراءة المتن الروائي العربي؟ ألا يمكن أن يصاغ لهذا المتن نموذج نقدي خاص به يستنتج من بنياته الداخلية؟ هذا الأمر عليه أن يطرح على النقد العربي كاملا لا على النقد الجزائري فحسب، وعلى كل الأنواع السردية لا على النوع الروائي فقط، هذا النقد الذي تعوّد استحضار النظرية الغربية ومحاولة أقلمتها مع النص العربي مع عدم الاهتمام في حالات كثيرة لخصوصية هذا النص وأنساقه الثقافية المنتجة له.

مع ظهور الدراسة البنوية للمحكي يمكن القول إن السرد الروائي بمختلف تجلياته النصية انتقل إلى موقع النص القابل للدراسة والحامل لكثير من الأبعاد والدلالات التي اضطلعت الدراسات وسعت إلى استكشافها، الأمر الذي يستدعي البحث في مدى نجاعة هذا الاستحضار مع المحكي الروائي الجزائري وهل كشف هذا الاستحضار خصوصيته أم أنه كان مجرد إسقاطات عمودية عليه.

تقتفي معظم الدراسات الجزائرية الحديثة البنيات المختلفة المشكلة للنصوص الروائية الجزائرية والعربية عموما والظواهر الحكائية والسردية التي تميزها بالاستناد إلى النظرية الغربية، ومحاولة أقلمتها مع تلك الروايات ومقتضياتها، غير أن هذا الاستحضار ارتهن بمسألتين أساسيتين هما مدى فهم النظرية في أصولها المعرفية المختلفة وإجراءاتها

المؤسسة لها، وكذا إمكانية ملاءمة النظرية للرواية العربية أو تكييفها معها وهل هذا التكييف جائز دائما؟

بالوقوف أمام المنجز النقدي الجزائري الدارس والمحلل للنصوص الروائية يتعين علينا مقارنته بالأصل النقدي الغربي، ومن ثمة يصبح من العسير جدا الحديث عن نقد جزائري خاص بالرواية، إذ إن ما قدمته معظم الدراسات الجزائرية التي تنضوي تحت هذا المجال لا يمكن أن يعد سوى مجموعة استعارات للنظرية السردية في صورتها الغربية ومحاولة إسقاطها على النص الروائي، على أن هذا الإسقاط لا يعود أحيانا إلى جهل بآليات التعامل مع الرواية المحلية بقدر ما هو راجع إلى غرابة المنهج في حد ذاته عن الرواية وتولد أزمة في تطبيق النظرية الغربية عليها ما يُلجئ الناقد الجزائري إلى إسقاطها على النصوص الروائية.

إن أهم ما يميز الدراسات الروائية الجزائرية الجديدة هو تجاوزها لمرحلة الأحكام الانطباعية التي كانت تطلق في حق النصوص الروائية، وتحميلها ما قد لا تحتمله من دلالات، ودخولها مرحلة جديدة من الدراسة البنيوية التي تبحث في عملية إنتاج وبناء الدلالة، وإثارة الجدل حول بعض الظواهر الحكائية التي تميز النص الروائي، فتستند إلى منظومة مصطلحية وإجرائية جديدة، وتختبر طرائق محدثة للتحليل[1].

من ناحية أخرى، إن ما يسم الدراسات الجزائرية الجديدة هو أبعادها الأكاديمية أولا، فمعظمها لا تخرج عن كونها رسائل جامعية تتقيد بضوابط معينة للبحث وتستوجب التزاما بالنظرية السردية. هذا التقيد جعل تلك الدراسات على قدر كبير من التقنية والآلية في التعامل مع النصوص، فتحولت إلى ما يشبه اختزالات أو إسقاطات لمجموعة من الإجراءات التي تكاد تبدو ثابتة أو غير قابلة للتعديل على المحكي الروائي.

هذا الضرب من الدراسة جعل من ناحية ما مسألة الحديث عن فاعلية النظرية السردية الحديثة مع النص الروائي أمرا لا طائل منه بسبب التقنية والميكانيكية والالتزام التام بالقاعدة في الدراسات الجزائرية المعاصرة، ومن ثم يصعّب هذا الأمر –من ناحية ما- إمكانية التطلع إلى سرديات جزائرية خاصة بالمحكي الروائي الجزائري والظواهر الحكائية التي تميزه .

في المقابل، تعد بعض الدراسات الحديثة نماذج في كيفية تطويع النظرية السردية بشقيها البنوي والسيميائي وتفعيلها وتكييفها بما يلائم الخصوصية الروائية الجزائرية، والحقيقة أن هذه النماذج وإن استندت إلى النظرية السردية في صورتها الغربية إلا أنها لم تكن وفية لها مقارنة مع دراسات أخرى رائدة في حقل النقد السردي الجزائري. وتجدر الإشارة ههنا إلى أن السيميائيات السردية كما أسس لها غريماس (A.G.Greimas) والسرديات النبوية كما أسس لها جيرار جينات (G.Gentte)من خلال معظم مؤلفاتهما كانتا محط اهتمام الباحثين الجزائريين، والحقيقة أن جينات قدم نموذجا يمكن من خلاله الحديث "عن لحظة فارقة في تاريخ الدراسة الأدبية الحديثة بوجه عام والدراسة السردية

بكيفية خاصة، فمعه يمكننا الحديث عن "ماقبل السرديات" وهي مختلف المنجزات السردية السابقة له، والسرديات التي أقام لها بناء خاصا وتصورا متكاملا"[2] .

حيث "استعار" معظم الباحثين الجزائريين من خلال مؤلفاته رؤيا عامة في آليات تحليل الخطاب الروائي ووجدوا فيها ضالتهم في ظل ذيوع النوع الروائي وطغيانه على الساحة الأدبية الجزائرية والعربية، حيث ترجمت جل أعماله وطُبقت مقولاته في التحليل على النصوص الروائية بشكل كامل أو انتقائي. لذلك يمكن القول إن معظم الدراسات الجزائرية لم تخرج في مقاربتها للنص الروائي عن المقولات الثابتة التي أسس لها جيرار جينات في خطاب الحكاية: الزمن والصيغة والصوت، وإن كان هذا بشكل متفاوت، يتعلق أمره بالنصوص الروائية وما تفرضه وما تقتضيه.

بالوقوف أمام الكم المقدم منها –الدراسات- يتضح بشكل جلي حضور هذه المقولات "الجيناتية" في النقد الروائي الجزائري، استطاعت بعضها الولوج إلى عوالم الروايات الجزائرية والعربية على تعدد تجلياتها النصية، ولعل أهم ما ساعد هذا التسرب إليها هو البناء المتنوع للنص الروائي من ناحية وقدرته على استيعاب مختلف التقنيات الحكائية والسردية التي يمكن أن تتضمنها باقي النصوص الأجنبية. ومن ناحية أخرى سلاسة الإجراءات التي قال بها جيرار جينات، إذ يبدو لأي متلق لهذه النظرية أنها قد لا تخص النص الواحد بقدر ما هي صالحة لقراءة كل النصوص الروائية، على الرغم كذلك من وجود نصوص تتعالى عن هذا الحكم. لذلك يمكن القول إن تحليل جيرار جينات للمحكي الروائي كان على ضرب من الشمولية إذا ما قارناه بتحليل تزفيطان تودورف أو غريماس. هذه السلاسة جعلت منها نظرية طيّعة بين يدي الناقد الجزائري، أحسن البعض التعامل معها وأساء البعض الآخر للنص الروائي من خلالها، على أن ما زاد الوضع تأزما هو تلك الترجمات المتضاربة والمتفاوتة التي تعمل على جعل المتلقي الباحث مشوشا وعلى قدر من الاضطراب، حين الاكتفاء بها ودون عودته إلى النقد في لغاته الأصلية.

أثارت الرواية الجزائرية سواء المكتوبة بالعربية أم بالفرنسية، من جهة أخرى، بدورها عديد الإشكالات والقضايا في المحيط النقدي الجزائري والعربي عموما، إذ إنها لم تشذ عن تلك النقلة التي أحدثتها الرواية العربية، واستفادت منها، وأحدث الروائي الجزائري كثيرا من التحولات على نصه، فاختفى عنه وجعل له أصوات تتحدث، وانفتح على التاريخ والموروث بمختلف أشكاله، وصرّح ورمّز وأسلب وأدلج وخرج عن حدود اللغة الفصيحة إلى مستويات أخرى للغة. فلمعت مجموعة من الأسماء في سماء الرواية الجزائرية: كاتب ياسين، الطاهر وطار، رشيد بوجدرة، أمين الزاوي، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي ... استطاعت أن تؤسس لنفسها كونا خاصا بها بل وقراء أيضا، وأن تقدم من خلال نصوصها رؤيا تختلف عن النتاج الروائي العربي باختلاف الخلفيات الاجتماعية والثقافية والسياسية المحلية التي أسست هذه الأسماء رواياتها بالاستناد إليها، وقدمت سمة خاصة من خلالها بالرواية الجزائرية جعلتها على قدر من الأهمية في الساحة الأدبية العربية .

لذلك يمكن القول إن الخطاب الروائي الجزائري احتل موقع المركز في النقد الجزائري في صورته الحداثية منذ عهد قريب، حيث إن النظر إليه كخطاب/نص بدأ مع ذلك

الاستحضار النقدي للنظرية السردية الغربية في شقيها السيميائي والبنوي وتداولها على الساحة النقدية الجزائرية، الأمر الذي أحدث إلى حد ما علامة فارقة في آلية مقاربة النصوص الروائية بين فترتي "السبعينيات والثمانينيات" وفترة التسعينات، أو بين النقد الإنطباعي السياقي الذي شهدته الفترة الأولى أو فترة ما بعد الإستقلال، والنقد البنوي المؤسس (العام أو الأكاديمي)، حيث طرحت عديد الإشكالات التي تخص الرواية الجزائرية تتعلق ببنيتها الداخلية والخارجية معا وأهم التحولات التي شهدتها بين الفترتين وأهم التقنيات السردية المستجدة من طرف الروائي الجزائري.

وقد برزت ههنا مجموعة من الأسماء النقدية الجزائرية –بداية الأكاديمية- عنت بتحليل الروايات الجزائرية تحليلا حداثيا يتماشى والآليات والمرجعيات النقدية الجديدة. وقد كانت سرديات الخطاب توجها استمال عديد الباحثين والنقاد الجزائريين المعاصرين أولوا عناية بالرواية في لغويتها بالاستناد إلى تحليلات جيرار جينات تحديدا التي كان لها الصدى الواسع ليس في النقد الجزائري فحسب بل النقد العربي عموما.

قدم النقاد الجزائريون مجموعة من الدراسات الجادة التي تنضوي تحت طائلة النقد الروائي، بحثت في البنيات السردية والتيمية/الموضوعية لبعض الروايات الجزائرية، سكتت بعضها عن التنظير متجاوزة إياه إلى التطبيق مباشرة، في محاولة من أصحابها إثبات استيعابهم للمنجز الغربي وتفعيله محليا لا بترديد شعاراته بل بوضعه على محك الممارسة التطبيقية، في حين لجأت بعض الدراسات الأخرى إلى تقديم تأسيسات نظرية سعيا منها إلى إبراز مرجعيتها التحليلية، إلا أن الظاهر عليها هو عدم التزام بعضها بتلك المرجعية والاستناد إلى مرجعيات متعددة.

اهتم الناقد الجزائري بميكانيزمات السرد والسارد وخصوصية دوره وتنوع البنى الحكائية والموضوعية والأسلوبية في المحكيات الروائية، لذلك كان أمر الالتزام بالمرجعية الواحدة صعبا، فتنوعت بين القراءة الفنية والأسلوبية والبنوية والسيميائية، كما أنها تميزت بالإنتقائية أحيانا والإختزالية أحيانا أخرى، حيث ينتقي الناقد من النظرية ما يخدمه ويهمل بقية المفاهيم والإجراءات، وهذا أهم مثلب من مثالب الممارسـات التطبيقية في الجزائر "عدم الوفـاء" للنظرية أو المنهج واختزالها .

ما يبدو على بعض الدراسات هو انفراد الناقد الجزائري أحيانا بمنظومة اصطلاحية صاغها لنفسه، التي لم تكن متداولة سواء على المستوى العربي عامة، وينبغي الإشارة ههنا إلى مجموع المصطلحات التي استند إليها الناقد عبد المالك مرتاض في مجموع دراساته المختلفة لنصوص روائية أو للسرد العربي عموما، ويمكن التمثيل بكتاب "في نظرية الرواية" الذي تبرز من خلاله المنظومة الاصطلاحية "المرتاضية" التي تختلف في عديد من جوانبها عما هو متداول عربيا، كما يبرز من خلال هذا المدون النقدي أهم المواقف والآراء النقدية التي يتخذها مرتاض في محاولته للتأسيس للنوع الروائي ونظريته وإن كان هذا بالاستناد إلى النوع الروائي عموما وليس العربي فقط، وإلى الظاهرة السردية العربية في بعدها التراثي[3].

كما لم يلتزم كثير من النقاد الجزائريين بتلك الحدود الدقيقة التي رسمها الناقد الغربي بين العناصر الثلاثة المكونة للخطاب السردي، أو بين التمييزات النوعية التي أحدثها الناقد الغربي بين مختلف مقولات وإجراءات دراسة وتحليل المحكيات الروائية، فتجده ينتقل بين القصة والسرد والخطاب دون بحث في التمايزات، فتضطرب وتتشاكل أنماط القراءة بين السيميائية والبنيوية والأسلوبية، وتجده ينتقل بين الفضاء والشخصية أو الزمان والصوت ووجهة النظر بحرية لدرجة قد تبدو فيها بعض الأعمال غير ممنهجة أكثر مما ينبغي أن تكون عليه دراسة تبحث في شعرية رواية ما أو سيميائيتها. وهنا ينطبق عليها ما قد قيل حول كثير من الدراسات، وهو الاستحضار أو الممارسة التطبيقية الجزئية واللاممنهجة للنظرية المتكاملة. ويمكن التمثيل لهذا بما قدمه الناقد سعيد بوطاجين في كتابه "السرد ووهم المرجع مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث" -وإن كان بوطاجين واحدا من النقاد الذين لم ينزلقوا كثيرا وراء القاعدة ولا يعودون إليها إلا في العموميات وقد لا تهمهم الجزئيات كثيرا- إلا أن دراسته هذه كانت أقرب إلى القراءة الأسلوبية منها إلى الشعرية أو السيميائية كما أظهر ذلك في مقدمة الدراسة، حيث إن بعض اهتمامه كان مركزا على البنى الأسلوبية المشكلة للنص الروائي، وكيف انتقل بوطاجين وهو يستند إلى تحليل جينات للمحكي بين مقوله وأخرى منتقيا ما لاءم عمله، بل إنه حتى ضمن المقولة الواحدة كان عمله مضطربا بين الإجراءات المنضوية تحتها، وينبغي الإشارة ههنا إلى ذلك التوزيع غير الوفي للإجراءات في دراسته لرواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة وهو يستند إلى مقولة الصوت السردي التي أسس لها جيرار جينات[4].

كان من الممكن أن تتخذ دراسات بوطاجين المتضمنة في كتابه "السرد ووهم المرجع" منحى آخر وخصوصا أن المتون التي اشتغل عليه الناقد من أكثر المتون التي أثارت جدلا نقديا وثقافيا نظرا لمزايا عديدة خصتها، سواء في مضامينها أم تعدد شخوصها أم في أشكالها اللغوية، ما قد يدعو إلى التساؤل كيف أن ناقدا بحجم "سعيد بوطاجين" لم يلتفت إلى تلك المزايا أو تغاضى عنها واقتصر على بعض الأمور اللسانية التي قد لا تحتاج إلى كبير عناء حتى تكتشف .

ينبغي التساؤل هنا هل قدمت مثل هذه الدراسات خدمة للنص الروائي الجزائري أم أنها كانت مجرد تجليات للنظرية السردية في صورتها الغربية؟ الواضح أن هذه الدراسات مثلت مرحلة أولية في قراءة النص الروائي والسردي عموما في ظل غياب نظرية عربية قادرة على تحليله تحليلا موضوعيا علميا يبحث في مكوناته وبنياته بعيدا عن الانطباعية والتاريخية. ولكن الإشكال الذي يطرح نفسه هنا هل ستطول هذه الفترة التأسيسية لنحظى في الأخير بنماذج نقدية جزائرية خالصة خاصة بالنص الروائي المحلي؟.

قدّمت كثير من الدراسات الجزائرية الحديثة بعض التفاصيل الخاصة بالبنيات اللسانية والحكائية للرواية العربية، التي لم تدقق فيها، فكأن البذرة موجودة فيها وبحاجة إلى بعض الاعتناء والتطوير الذي يمكن أن يجعلها ظاهرة تسم الرواية وإشكالا قارا حولها. والمتأمل لكثير من الدراسات الجزائرية يجد فيها بعضا من هذه الدقائق التي لم يفصل فيها الناقد الجزائري، وترك الباب مفتوحا للعودة إليها، على أن الأمر لم يتوقف عند حدود البناء الداخلي أو التداخل الإنواعي أو النسق الثقافي وإنما تعداه إلى إشكالات وقضايا أخرى لا

تنحصر حول النوع الواحد، وإنما قد تتعداه إلى بقية الأنواع التي تداخلت معها الرواية والتي قامت في الثقافة العربية على الأساس ذاته "الحكائية" التي أسهمت عديد الأنساق الثقافية الأخرى في تشكيلها وتطويرها .

هل يمكن إعادة طرح تساؤل إمكانات فتح آفاق وأبواب جديدة لقراءة الرواية الجزائرية والعربية في ظل هذا الكمّ من الدراسات؟ يبدو أنه بالإمكان فعلا طرح تساؤل كهذا في ظل كل تلك الظواهر الفنية سواء اللغوية أم الموضوعية التي تسم الرواية الجزائرية التي لا تزال بكرا، وكذلك في ظل الجدة والإصدارات المستمرة للكتابات الروائية التي يعرفها المشهد الثقافي الجزائري، وكذا في ظل تلك الثغرات التي خلفتها الدراسات الجزائرية السابقة، التي يمكن أن تجعل أمر إعادة قراءته أو التأسيس لسرديات خاصة به أشبه بالولوج إلى عوالم حكاية شهرزادية متشعبة. فهذه الملامح تجعل من مسألة الحديث عن آفاق جديدة لقراءة النصوص الروائية الجديدة أمرا ليس ممكنا فحسب بل لا بد منه، فالدرس النقدي عليه أن يبقى متجدّدا بقدر تجدد السرد .

---

[*] يذكر من تلك الرسائل - على سبيل التمثيل لا الحصر - :

- الطاهر روainية : سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد ، مقاربة نصانية – نظرية تطبيقية – في آليات المحكي الروائي ، أطروحة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، 2001/2000 .

- عبد القادر شرشار : خصائص الخطاب في رواية الصراع العربي الصهيوني (دراسة تحليلية) رسالة دكتوراه دولة في الأدب العربي ، كلية الآداب و الفنون ، جامعة وهران ، 2001/2000 .
- منصوري مصطفى : سرديات جيرار جينات و أثرها في النقد لعربي ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس ، 2008 وقد نشر العمل بالعنوان إياه بدار رؤية .

[*] ينظر من الجانب النظري :
- عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، الكويت ،1998.
- يوسف وغليسي : الشعريات و السرديات ، الجزائر ، 2000 .
- منصوري مصطفى : سرديات جيرار جينات و أثرها في النقد لعربي ، 2008 .
أما من الجانب التطبيقي :
- الطاهر روابنية : سرديات سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد .

- محمد ساري : في معرفة النص الروائي ، الجزائر ، 2009 .

[1] ينظر، محمد الناصر العجيمي، النقد الروائي العربي ، واقعه وإشكالياته –من خلال بعض النماذج، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2005، ص 96.

[2] سعيد يقطين، السرديات والتحليل السردي، الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2012 ، ص43.

[3] ينظر، عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، م س ، صفحات متعددة .

[4] ينظر، السعيد بوطاجين، السرد ووهم المرجع ، مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث، منشورات الاختلاف، ط1، 2005 ، صفحات متعددة .